التنمية الاجتماعية عند مالك بن نبي

بين العوائق والمرتكزات

أ.د / بشير قادره

أستاذ سابق بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة باتنة1 (الجزائر)

bachirgadra@gmail.com

- **المدخل للموضوع وأهميته:**

إن المجتمع في حقيقته ما هو إلا ظاهرة اجتماعية، تعبر عن أي تفاعل بين شخصين فأكثر في أي مجال من المجالات، كتفاعل الآباء مع ابنائهم، والمعلمين والأساتذة مع التلاميذ والطلاب، والأطباء مع المرضى، والتجار مع الزبائن،...الخ، وهكذا في كل المجالات. ومن ثم فالظاهرة الاجتماعية هي أساس وروح المجتمع، تظهر في صورة تفاعلات إيجابية كانت أو سلبية، وما تتركه من علاقات اجتماعية بين أفراد المجتمع في مختلف مجالات الحياة.

فمتى كانت علاقات عادلة، متوازنة، ستكون متماسكة وممتدة وقوية، لأنها تلبي مصالح الجميع، ولا يشعر فيها أحد بالغبن، والعكس صحيح.

ومن ثم فالعلاقات الاجتماعية وما ينجم عنها من تفرعات شبكية هي التي تحدد دينامية المجتمع، ونهضته، وتقدمه، وتحضره. أو جمود المجتمع وتخلفه وتقهقره وصراعاته....

متى تنافرت فيه العلاقات الاجتماعية، وتفككت شبكاتها، وضمرت بعوائقها وسلبيات وأنانية

أصحابها. وظلمهم لبعضهم البعض في علاقاتهم الاجتماعية.

- **الإشكالية:.**

تعاني مجتمعات العالم الثالث ـ الذي تقع ضمنه مجتمعاتنا العربية الإسلامية، من اختلالات وتدني رهيب في العلاقات الاجتماعية، على جميع المستويات والأبعاد، لأسباب عديدة، انعكست سلبا على الحياة الاجتماعية. بما يسودها من اللا صدق، واللا توازن، واللا عدل، وما ينجم عن ذلك من ضغائن، وأحقاد، وتوجس، واللا ثقة ...الخ، فأصبحت العلاقات الاجتماعية متنافرة متشاكسة، وشبكاتها شبه مقطوعة، وفي احسن الحالات علاقات سطحية نفاقية لا تطاق.

وعلى ضوء أهمية الموضوع وإشكاليته المطروحة، تأتي دراستنا الموسومة بـ **التنمية الاجتماعية عند مالك بن نبي بين العوائق والمرتكزات**

في إطار المحور الثاني للندوة وهو ـ (التنمية الاجتماعية عند مالك بن نبي: منظوراتها، مجالاتها، والعوامل المؤثرة فيها) وهي تسعى من خلال تتبع وتحليل ووصف واستنطاق ما كتبه مالك بن نبي ـ رحمه الله ـ عموما وفي المجال الاجتماعي على وجه الخصوص. وفي جميع المستويات: كيف ينظر للعلاقات الاجتماعية، والعوائق التي تقف أمامها وتسبب لها الضمور والتفكك وتمنعها من تحقيق أهدافها، لتجاوزها، واستبدالها بالمرتكزات التي يجب أن تقوم عليها، لتصل إلى الصورة المثلى المرجوة منها، وما تثمره من آثار إيجابية على الفرد والجماعة والمجتمع.

- **المنهج المتبع:**

وهو المنهج الوصفي، بتتبع ما كتبه مالك بن نبي عن تلك السلبيات والعوائق في مجالنا الاجتماعي، وعن مرتكزاتها التي تقوم عليها كبدائل مقترحة للنهوض والتقدم والتحضر. ضمن المحاور التالية:

المحور الأول/ محور مفاهيمي

المحور الثاني/ التنمية الاجتماعية بين العوائق والمرتكزات في فكر مالك بن نبي.

المحور الثالث/ مجالات التنمية الاجتماعية

المحور الرابع/ النتائج المتوصل إليها.

وبالله التوفيق.

المحور الأول/ محور مفاهيمي:

يتناول هذا المحور تحديد المفاهيم الواردة في عنوان الدراسة، وضبطها.

I ـ التنمية

1 . التنمية في اللغة:

التنمية لغة مصدر لفعل نمّى، ومعناه الزيادة والكثرة في المال، ونمَى الحيوانُ: سمِن. ونمى السعر: ارتفع وغلا، ونمى الحديث: شاع وذاع بين الناس...الخ[1].

2. التنمية في الاقتصاد:

هي الرفع من مستوى الإنتاج والدخل الوطني، وتحويل الموارد الطبيعية غير المستثمرة إلى موارد منتجة مثل استصلاح الأراضي الصحراوية او البور، وإنشاء صناعات جديدة.[2] ويلاحظ في تعريف التنمية اقتصاديا أنه مستوحى من اللغوي، فالرفع في الانتاج زيادة.

3. التنمية من المنظور الاجتماعي:

لا يوجد تعريف واحد للتنمية الاجتماعية، لكثرة الرؤى والتوجهات والاختصاصات المتناولة لها، ومنها هذا التعريف (هي عملية متعددة الأبعاد، تتضمن تغييرات جذرية وشاملة ومتكاملة، لكل جوانب الحياة في المجتمع والدولة والهياكل، وتهتم بجميع الأفراد والجماعات والتخصصات والمهارات المختلفة، من ناحية تفاعلها مع بعضها البعض، بحيث تكون غير متنافرة، ولا متناقضة، ولا يمنع أحدها نمو الآخر أو يعرقله. ويعتبر الإنسان فاعل نشط ومشارك اساسي فيها، وليس مجرد مستفيد)[3].

أي أن التنمية الاجتماعية هي سلسلة عمليات إدارية مخطط لها مسبقا، لتفعيل الطاقات البشرية، وكل ما هو ايجابي في المجتمع من قيم ومعتقدات وعادات، والاستغلال الأمثل للإمكانات المادية المتاحة، للرقي بالمجتمع في التعليم والصحة والإسكان والمواصلات والاتصالات، وسائر المجالات، للوصول بالعلاقات الاجتماعية إلى العدل والتوازن والفعالية، لتحقيق التقدم الشامل، ورفاه الأفراد والمجتمع.

وأعظم ركيزة تقوم عليها التنمية هي بناء الإنسان.

فتنمية قدرات الإنسان البدنية، والعقلية، والروحية، والاجتماعية، والمهاراتية، هي غاية الغايات في

---

[1] . www. almaany.com.(

[2] . قاموس المعاني، مادة (نمى.www. almaany.com).

[3]. https//pachodo.org

جهود التنمية[1] أي أن سعي المجتمع في تحقيق التنمية المادية، في المجالات الاقتصادية، وزيادة في الموارد الطبيعية واستغلالها، لن يتحقق إذا لم تتم تنمية الإنسان المتوازن في كل جوانبه، المزود بالمهارات، حتى يقوم هو بعملية التنمية في مختلف المجالات.

(فالتنمية البشرية هدف ووسيلة كمنطلق لإنجاز مهمات التقدم والازدهار)[2].

(ولا تتم تنمية الإنسان الكلي المتكامل في مقابل الإنسان الجزئي المجزأ إلا من خلال النظام التعليمي)[3]. وليس أي نظام تعليمي له القدرة على تنمية الإنسان الكامل المتكامل.

وعليه ومما سبق، يمكن القول بأن التنمية، ذات بعدين، بعد البناء الاقتصادي وبعد بناء الإنسان. ويتعلق بعد البناء الاقتصادي، بالجانب المادي في الموارد الاقتصادية، كيفما كان نوعها، حتى تستجيب وتلبي حاجات الأفراد والمجتمع، بصورة ميسورة لاعنت فيها، تصل إلى الرفاه الاجتماعي والحياة الكريمة. وهذا البعد في التنمية هو ثمرة لبعد تنمية الإنسان. أقلها أن ينضبط الإنسان بالمنظومة القانونية للمجتمع، التي نشئ عليها، كما هو في المجتمعات الغربية.

أما البعد الثاني في التنمية، هو بناء الإنسان، كما هو في الإسلام، باتباع ما قام به النبي "ص"، وهو بناء الإنسان بناء شاملا متوازنا، يقوم على البناء العقدي السليم، وما ينتج عنه من ثمرات في الجوانب الأخرى للإنسان، في مجالات العبادة الصحيحة، والأخلاق الفاضلة، والمعاملات الراقية المتوازنة، وتسليحه بالوعي الذي يناسب المرحلة، فينجم عن ذلك كله، قيام الإنسان، بالأدوار المطلوبة منه، في جميع المجالات، نحو ربه بالدرجة الأولى، وما ينعكس منها على نفسه، ونحو غيره. باعتبار أن العلاقة الاجتماعية هي انعكاس للعلاقة الروحية.

II ـ **الاجتماعية**: ترد كلمة الاجتماعية أو الاجتماعي صفة لما قبله، فنقول التنمية الاجتماعية، والسلم الاجتماعي، والحياة الاجتماعية، والعلوم الاجتماعية، والنظام الاجتماعي[4] .(والنظام الاجتماعي: هو النظام الذي يحدد العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع، وتندرج في هذه العلاقات، علاقات التوزيع للثروة، التي ينتجها المجتمع).[5]

وعليه فمصطلح الاجتماعية تنتمي إليه مفردات كثيرة التداول، تعبر عن مدلولات مختلفة، ولكنها تشترك جميعا في صفة التفاعلية الاجتماعية؛ كما أنه يعتبر المصطلح الأساسي في علم الاجتماع، من

---

[1] . حامد عمار: دراسات في التربية والثقافة، مصر، مكتبة الدار العربية للكتاب، 1988، ص. 41.

[2] . حامد عمار، م.س، ص. 42.

[3] . حامد عمار، مرجع نفسه، ص. 48.

[4] . قاموس المعاني: http// www.almaany. Com.

[5] . السيد منذر الحكيم: النظرية الاجتماعية الإسلامية، بيروت، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، 2008، ص. 33.

خلال الظاهرة الاجتماعية، التي تتصف بأنها سلوك متكرر الحدوث، يتسم بمجموعة مواصفات، أهمها: التكرار، والتلقائية، والجبرية، وقد عرف دوركايم الظاهرة الاجتماعية بأنها: (هي كل ضرب من السلوك، ثابتا كان أم غير ثابت، يمكن أن يباشر نوعا من القهر الخارجي على الأفراد، أو هي كل سلوك يعم المجتمع بأسره، وكان ذا وجود خاص، مستقل عن الصور التي تتشكل بها في الحالات الفردية)[1].

ومعنى مستقل عن الصور التي تتشكل بها الحالات الفردية، أي تبقى الظاهرة الاجتماعية محصورة فقط في التفاعلات الناجمة عن العلاقات الاجتماعية، بين أفراد المجتمع فيما بينهم، أو بين الفرد والجماعة أو بين الجماعات فيما بينها.

ـ ويعتبر مالك بن نبي الظاهرة الاجتماعية هي المجتمع، بكل مواصفاته، من خلال تفاعلاتها، التي تظهر في شبكة العلاقات الاجتماعية.

(المضمون الجوهري للكيان الاجتماعي، الذي يحدد عمر المجتمع، واستقراره عبر الزمن، ويتيح له أن يواجه ظروف تاريخه جميعا، وهو الذي يتجسد في نهاية الأمر في شبكة العلاقات الاجتماعية، التي تربط أفراد المجتمع فيما بينهم، وتوجه ألوان نشاطهم المختلفة في اتجاه وظيفة عامة، هي رسالة المجتمع الخاصة به. فتكون هذه الشبكة، ولو في مرحلة ابتدائية، هو الذي يعبر عن حدث ميلاد مجتمع في التاريخ)[2].

ـ فابن نبي يرى أن شبكة العلاقات الاجتماعية: وهي الوجه العملي التطبيقي للظاهرة الاجتماعية، تكتسي أهمية قصوى، لما ينتج عنها، فهي تعبر عن عمر المجتمع عبر التاريخ، واستقراره في مواجهة الظروف، بالربط بين أفراده، وتوجيه ألوان نشاطهم المختلفة، بل هي تعبر عن حدث ميلاد المجتمع في التاريخ.

ـ وتقوم الظاهرة الاجتماعية على قوانين ونظريات علم الاجتماع، تؤطر فعل الإنسان وسلوكه مع غيره، وما ينجم عنه سلبا أو إيجابا. لأن الإنسان لا يستطيع إلا أن يعيش في وسط اجتماعي، متفاعلا ومندمجا مع غيره بصورة من الصور.

ـ وعلى ضوء ما سبق وبالجمع بين المصطلحين: التنمية، & الاجتماعية، يمكن تعريف التنمية الاجتماعية في العنصر الموالي.

III ـ تعريف التنمية الاجتماعية (إجرائيا):

---

[1] ـ دوركايم إميل: قواعد المنهج في علم الاجتماع، بيروت، موفم للنشر، 2009، ص.57.

[2] ـ مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، ج1 ـ شبكة العلاقات الاجتماعية ط.10، ترجمة عبد الصبور شاهين، دمشق، دار الفكر، 2015، ص.12.

هي تطور البشر في علاقاتهم المشتركة، في مختلف المجالات، للوصول إلى علاقات اجتماعية: عادلة، ومتوازنة، وفاعلة، وفق المعايير التي يحتكم إليها المجتمع. مما يعطيها الرضى والقوة، والديمومة، فيعود ذلك على الجميع افرادا وجماعات ومجتمعا، بالمصلحة والفائدة.

IV ـ **العوائق**: من فعل اعاق يعيق إعاقة: أي منعه وشغله، وثبطه، وأخره[1].

والمقصود بها هنا العقبات التي تمنع حصول التنمية للعلاقات الاجتماعية بطريقة صحيحة وسليمة.

V ـ المرتكزات: من فعل ركز يركز ركزا، أي ركز شيئا في الأرض كالرمح للاتكاء عليه[2]. وعليه فالمرتكزات هنا هي القيم الإيجابية التي تقوم عليها العلاقات الاجتماعية، لتصل للعدل والرضى والتوازن، ومن ثم القوة والديمومة، في فكر مالك بن نبي.

ومن خلال المحور المفاهيمي يتضح أن عنوان الدراسة، الموسوم بـ **(التنمية الاجتماعية عند مالك بن نبي بين العوائق والمرتكزات)** يسعى لإبراز كل السلبيات التي تحرم مجتمعاتنا من النهوض والتقدم والاستثمار الجيد لمواردها؛ وكذلك إظهار القيم الإيجابية التي يجب استغلالها. والارتكاز عليها للوصول للتنمية الاجتماعية، وتحقيق المطلوب.

المحور الثاني: التنمية الاجتماعية عند مالك بن نبي بين العوائق والمرتكزات.

الدارس لكتابات ابن نبي، يجد مفردات وموضوعات تتكرر في كتاباته، من باب التركيز عليها، ولإظهار أهميتها لدى القارئ، مثل كلمات: الثقافة، النهضة، الحضارة، معادلة الحضارة، عالم الأشخاص، عالم الأفكار، عالم الأشياء، الصراع الفكري...وغيرها، وهي كلها ظواهر اجتماعية بصورة من الصور، لأن الشخص الذي سينهض من كبوته هي عملية تفاعلية اجتماعية، يحتاج فيها الفرد إلى من يعلمه، ويغرس فيه الوعي لينهض، وحتى وهو يقوم بمستلزمات النهوض يحتاج لغيره، فالنهوض ليس عملا فرديا، وكذلك الحضارة فهي منتوج اجتماعي بامتياز(عينات حضارة ما، هي منتوجات اجتماعية في جميع أشكالها. فالمصباح الذي نستنير به، والأفكار التي وجهت أمر تجهيزه، والآدميون الذين قاموا بعملية إنجازه، تمثل جميعا منتجات اجتماعية).[3] ونفس الشيء يقال عن الثقافة والصراع الفكري...الخ.

مما يجعلنا نقرر عن دليل وبينة أن كتابات ابن نبي يغلب عليها الطابع الاجتماعي في جميع المجالات، فهو يكتب لأمة لتتجاوز إشكالات التخلف والانحطاط، لتنهض وتدخل دورة الحضارة من جديد. وعليه فهو ينبه لعوائق تكبل الأمة حتى يتم تجاوزها، ويدعو لفعل اجتماعي هادف، يرتكز على

---

[1] . . (قاموس المعاني)Com. www.almaany// http .

[2] . . (قاموس المعاني الجامع almaany .com).

[3] . مالك بن نبي: القضايا الكبرى، ط.12، دمشق، دار الفكر، 2015، ص.54.

قيم إيجابية لتستند عليها الأمة في نهوضها لتساهم في الحضارة من جديد. ومن ثم فهذا المحور من الدراسة هو أساسي فيها، نعالج فيه العوائق، والمرتكزات في التنمية الاجتماعية، من باب التخلية والتحلية. التخلية من العوائق والتحلية بالمرتكزات، ليتحقق الفعل الاجتماعي الهادف.

وانطلاقا من تعريفنا الإجرائي، للتنمية الاجتماعية، بأنها هي تطور في العلاقات المشتركة للوصول إلى علاقات اجتماعية عادلة ومتوازنة ...، فإن مالك بن نبي يرى - وجود (عالم) رابع، هو مجموع العلاقات الاجتماعية الضرورية، وسماه (شبكة العلاقات الاجتماعية)[1] . (واعتبره البعد الرابع الذي يربط بين العوالم الثلاثة الأخرى، عالم الأشخاص وعالم الأفكار وعالم الأشياء، (عالم الأشخاص هو الذي يصنع عالم الأفكار وعالم الأشياء، ويحدد اتجاهها ومداها لتغيير وجوه الحياة، وتطور المجتمع).[2]

و(أن الإنسان يتحول من الفرد Individu ذي الصفات البدائية، لكي يصبح شخصا Personne يتميز بنزعة اجتماعية تربطه بالمجتمع في أي صورة كانت في هيئة تظاهرة أم مدرسة، أم جيش، أم مصنع، أم نقابة، أم سينما، هي تعبير عن شبكة هذه العلاقات في صور مختلفة، وأن ميلاد المجتمع هو ترجمة صادقة وقوية عن شبكة علاقاته...واجتماع المسلمين في المسجد في صلاة الجمعة)[3] .

وعليه فما هي شبكة العلاقات الاجتماعية بالنسبة لمالك بن نبي؟

I/ شبكة العلاقات الاجتماعية : دورها ومظاهرها.

يعتبر مالك بن نبي شبكة العلاقات الاجتماعية، بأنها هي التي تجمع بين مكونات عوالم الأشخاص والأفكار والأشياء، وهي منطلق ميلاد المجتمع، وهي تمثل كل المظاهر المختلفة التي يظهر بها المجتمع في ميادينه العلمية كالمدرسة، والعسكرية كالجيش، والصناعية كالمصنع، والدينية والروحية كصلاة الجمعة.

وعليه فشبكة العلاقات الاجتماعية عند مالك بن نبي، تعبر عن المجتمع وما يتصف به من ظواهر اجتماعية. في عمقها، ودورها، ومظاهرها، واتساعها، فهي أقوى من مفهوم التنمية الاجتماعية في المجالات الأخرى التي غالبا ما تقتصر على المجالات الاقتصادية والاجتماعية.

وابن نبي له تصور كامل وشامل عن العوائق الاجتماعية التي تقف في طريق الأمة الإسلامية، وتؤثر عليها سلبا، وتمنعها من النمو السليم، والوصول للتوازن والعدل، وهذا ما يظهر في مجتمعاتنا المتخلفة. وهو يعزوها لمجموعة من الأسباب في مقدمتها الإنسان بطريقة من الطرق. ولذا رأينا من الناحية المنهجية أن نسبق باستعراض تلك العوائق ثم نأتي إلى المرتكزات.

---

[1] . مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، م. س، ص. 27.

[2] . مرجع نفسه، ص.27، 31.

[3] . مرجع نفسه، ص.31.

II/ العوائق:

إن ابن نبي من خلال معادلته الشهيرة للحضارة = الإنسان + التراب + الزمن.

يعتبر الإنسان هو القاعدة الحاملة لكل شيء (إن الإنسان هو الذي يحدد في النهاية القيمة الاجتماعية لهذه المعادلة، لأن التراب والوقت لا يقومان ـ إذا اقتصر عليهما فحسب ـ بأي تحويل اجتماعي)[1]. سواء تعلق الأمر بشبكة العلاقات الاجتماعية، وتنميتها، أو بالنهضة، أو ببناء الحضارة...الخ. وأي اختلال في مسار الإنسان، سيمنعه حتما من الفعل الاجتماعي الهادف، كما في إنسان المنتصف، بتعبير ابن نبي رحمه الله.

وإنسان (منتصف الطريق، وفي منتصف فكرة، وفي منتصف تطور، لا يعرف كيف يصل إلى هدف، إذ هو ليس نقطة انطلاق في التاريخ، كرجل الفطرة، ولا نقطة الانتهاء كرجل الحضارة، بل هو نقطة التعليق)[2] .

أي أن أكبر مشكلة تعاني منها مجتمعاتنا الإسلامية اليوم، ليس فقط في مجال التنمية الاجتماعية، بل في كل المجالات، هي نوعية الإنسان، الذي يقف في منتصف الطريق، ولا يستطيع أن يقوم بأي شيء، فلن يصلح لتنمية اجتماعية، ولن ينهض، ولن يصنع تقدما ولن يبني حضارة.

ـ إنها سلبيات إنسان المنتصف في كل شيء، لها علاقة بفهمه وتفاعله بالمعتقد، ولها علاقة بالسياق التاريخي، ولها علاقة بمعيار الأولويات، ولها علاقة بمحتل الأمس، ولها علاقة بالحلول الخاطئة المتبناة، ولها علاقة بمشاكل نفسية ومادية، ...ويمكن التعرض لأهم هذه **العوائق**، كما أوردها ابن نبي بالنص، مع التعليق عليها.

1 / خمود إشعاع الفكرة الدينية لوهن الدفعة القرآنية:

يرى ابن نبي أن أهم دافع لدى الإنسان للقيام بالفعل الهادف، في مختلف المجالات، هو الفكرة الدينية، التي مصدرها الدفعة القرآنية، أي الفهم الصحيح للدين والتفاعل معه، ويخضع غرائزه لمقتضياتها الروحية، حيث يمارس حياته الجديدة حسب قانون الروح التي تشع في منحى تصاعدي، وتكتمل شبكة روابطه الداخلية، بقدر إشعاع الفكرة الدينية، ومتى فقد إشعاعها، خمد إشعاع العقل والفهم وإرادة العمل (فأينما توقف إشعاع الروح، يخمد إشعاع العقل، يفقد الإنسان تعطشه إلى الفهم، وإرادته للعمل، عندما يفقد الهمة وقوة الإيمان)[3]

---

[1] ـ مالك بن نبي: فكرة كمنويلث إسلامي، ترجمة الطيب الشريف، ط.12، دمشق، دار الفكر، 2016، ص.53.

[2] ـ مالك بن نبي: شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، وعمر كامل مسقاوي، دمشق، دار الفكر، دون تاريخ، ص.76.

[3] ، 1981، ص.29. A N P مالك بن نبي وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين، الجزائر، منشورات

بل يتوقف الإنسان عن العطاء بسبب وهن الدفعة القرآنية كما يتوقف المحرك عن السير (إذا وهنت الدفعة القرآنية توقف العالم الإسلامي، كما يتوقف المحرك عندما يستنفد آخر قطرة من الوقود)[1].

إذن فمشاكلنا التي نعاني منها اليوم، سببها الإنسان الذي انخفض تفاعله مع الدين، وما يحمله من قيم ومعايير موجهة للسلوك في مختلف المجالات، منذ زمن طويل، حيث بدأت الغرائز تتحرر شيئا فشيئا، من سلطان الفكرة الدينية، وكانت النهاية بعد انتهاء الوظيفة الاجتماعية للفكرة الدينية.

2 ـ الجهل بالإسلام:

الجهل بحقيقة الإسلام وروحه، من الأسباب الأساسية التي حرفت مسيرة المسلم اليوم، عن هدفه ومساره الصحيح، في كل الميادين، بما فيها العلاقات الاجتماعية، وهو يسرد حالة الجزائريين نموذجا، لما هو واقع في العالم الإسلامي، حيث حل محل الإسلام الصحيح، فكر الخرافات والأوهام، وتلك المظاهر الغريبة التي لا يقبلها عقل، ولا يرضى بها دين، تتحكم في سلوك الناس، وتوجه علاقاتهم الاجتماعية، لمدة خمسة قرون، حتى جاءت الفكرة الإصلاحية، فتخلص الشعب الجزائري من الفكر الخرافي إلى حد ما، ولكنه مازال يجهل إلى حد بعيد حقيقة الإسلام، وممارساته الصحيحة إلى اليوم. وما يترتب عليها في مجال العلاقات الاجتماعية السوية. (وهكذا كان شأن الجزائر، فإنها كانت حتى عام1925 ـ على الرغم من إسلامها ـ تدين بالوثنية، التي قامت نصبها في الزوايا، هنالك كانت تذهب الأرواح الكاسدة لالتماس البركات، ولاقتناء الحروز ذات الخوارق والمعجزات، غير أنه ما أن سطعت الفكرة الإصلاحية حتى تحطم ذلك المعبد، فخرت الأوثان،... وخمدت نيران أهل الزردة، وزالت عن البلاد حمى الدراويش، وتخلصت منها الجماهير بعد أن ظلت خمسة قرون ترقص على دقات البنادير، وهي تبتلع العقارب والمسامير مع الخرافات والأوهام).[2]

3 ـ الأمراض الموروثة:

للأمراض الموروثة، التي وصلتنا عن طريق إنسان ما بعد عصر الموحدين دور كبير فيما نعاني منه اليوم (في السياسة، أو في صورة العمران، لم تكن إلا تعبيرا عن حالة مرضية، يعانيها الإنسان الجديد، إنسان ما بعد الموحدين، الذي يحمل في كيانه، جميع الجراثيم التي سينتج عنها في فترات متفرقة جميع المشاكل، التي تعرض لها العالم الإسلامي منذ ذلك الحين)[3].

4. ـ معادلة الحضارة عناصر خامدة:

---

[1] ـ مرجع نفسه، ص.30.

[2] ـ شروط النهضة، م.س، ص.28.

[3] ـ وجهة العالم الإسلامي، م.س، ص.35.

معادلة الحضارة عند مالك بن نبي معروفة، وهي أن الحضارة =الإنسان +التراب +الوقت.

لكن العوامل التي أنتجت مسلم ما بعد عصر دولة الموحدين، أثرت سلبا على تلك المعادلة، وجعلتها خامدة بدون تفاعل، حيث (بلغت عوامل التعارض الداخلية قمتها، وانتهت إلى وعدها المحتوم، وهو تمزق عالم واهن، وظهور مجتمع جديد، ذي معالم وخصائص واتجاهات جديدة، فكانت مرحلة الانحطاط، إذ لم يعد الإنسان والتراب والوقت عوامل حضارة، بل أضحت عناصر خامدة، ليس لها فيما بينها صلة مبدعة)[1].

5 ـ روح الهزيمة: يعتبر ابن نبي أن مسلم اليوم يحمل روح الهزيمة بين جنبيه، (أن رجل المدينة الذي رضي بالقليل من الأشياء، قد تغلغلت في نفسه دواعي الانحطاط، ... فهو يحمل روح الهزيمة بين جوانحه)[2]. والمهزوم داخليا ونفسيا، لن يصنع مجدا ولا حضارة ولا أي شيء.

6ـ عدم تحمل مسؤوليته نحو المشكلات:

إن مسلم اليوم، يعزو الصعوبات التي تواجهه إلى طبيعة المشكلات، رغم أنه هو المتسبب فيها، إما بقصوره العقلي في عدم البحث عن جوهر المشكلات، حتى يجد لها الحل الصحيح، أو بأخلاقه وسلوكه السيء، فهو المتسبب في المشكلات، ومع ذلك لا يتحمل المسؤولية لإيجاد الحلول. (الصعوبات التي يعانيها مجتمعنا اليوم، في مواجهة ضرورات البناء الداخلي، يعزوها المسلم اليوم إلى طبيعة المشكلات، عوض أن يعزوها أولا إلى نفسه من الناحية العقلية في إدراكه هذه المشكلات، ومن الناحية الأخلاقية في سلوكه إزاءها)[3]

7 ـ المطالبة بالحقوق قبل أداء الواجبات:

إن مشكلة المطالبة بالحقوق في مختلف المجالات، ولدى مختلف الفئات، وهي لا تقدم إلا الحد الأدنى من الواجبات! فكيف يمكن أن ينجح المشروع في أي مجال من مجالات الحياة؟ ويدخل فيها المجال الاقتصادي، وهو بالضرورة مجال اجتماعي.

(الذي ينبغي أن نعود منه للحضارة ـ وهي فعل اجتماعي وليس فردي ـ هو باب الواجب، وأن نركز منطقنا الاجتماعي والسياسي والثقافي على القيام بالواجب، أكثر من تركيزنا على الرغبة في نيل الحقوق، لأن كل فرد بطبيعته تواق لنيل الحقوق ونفور من القيام بالواجب) [4]

---

[1] ـ وجهة العالم الإسلامي، م. س، ص.30.

[2] ـ شروط النهضة، م.س، ص. 76

[3] ـ مالك بن نبي: تأملات، بيروت، دار الفكر، 1979، ص.8ـ9.

[4] ـ مرجع نفسه، ص. 26ـ27.

8 ـ غياب رؤية اقتصادية صحيحة: اعتقد الساسة، وحتى بعض النخب، في العالم الإسلامي، بعد طرد محتل الأمس، أن مشاكلنا سببها الاقتصاد، وبالتالي فإن مشاكلنا تنحل بالتنمية الاقتصادية، وأهملوا بناء الإنسان، الذي يقوم بتنفيذ المشروع الاقتصادي، مع ضبابية في الرؤية الاقتصادية عند هؤلاء، بل إنهم لا يملكون رؤية صحيحة، (إن العالم الإسلامي لا يملك نظرة أو نظرية خاصة في الاقتصاد، تتواءم مع ضروراته ومع إمكانياته في وقت معا)[1] .

ولذا استوردوا تجارب جاهزة من الشرق والغرب، لم تزد العالم الإسلامي إلا تخلفا وبؤسا وفسادا. (أسباب إخفاق المشاريع الاقتصادية في بلداننا الإسلامية، كون الاختصاصي الأجنبي، يضع المشروع بعيدا عن عدة البلد، أو فوق استعداداته، أو فوق الأمرين معا)[2]. وما تجربة جمهورية إندونيسيا مع الدكتور شخت الألماني، إلاّ خير مثال.

9 ـ افتقار المسلم للمعيار الذي يوجهه في مختلف المجالات، وما نجم عنه:

يرى ابن نبي أن المسلم في حاجة إلى (أولية المعيار الاجتماعي)[3].

(وأن الإنسان المسلم لما يعرف بعد تماما، عالم الضرورات، لأنه لم يصنعه بنفسه. إنه عالم مستورد... وهكذا غزت الحياة الإسلامية بدون تصفية أو بنصف تصفية أشياء عديدة ليست ضرورية مطلقا)[4] .

لأنه يفتقر للمعيار الذي سيصفي له ما يعرض عليه، ويرتبه له حسب أولوياته، لا حسب أولويات الآخر، وغياب المعيار الاجتماعي أدى إلى غياب الوعي، وجراء ذلك (فقد مزق وعي الإنسان المسلم في يومنا هذا من جراء التناقض). [5] وأدى تمزق الوعي وغيابه إلى التناقضات في كل المجالات، من فوضى الأشياء والأفكار، (فمجتمعاتنا ليست منغلقة على ذاتها، فهي جزء من المجتمع العالمي، الذي يبيعها الأشياء ويفرض عليها في الوقت نفسه مقاييسه وعلى تمثل أفكاره)[6].

10ـ فوضى في أشكالها المختلفة:

إن الذي يحصل في مجتمعاتنا الإسلامية من اضطراب شامل يحرم الفرد من حقوقه، وما ينجم عنه من(انعدام الأمن في المجتمع، والبلبلة في الأفكار والاضطراب في الأرواح... والفوضى الاجتماعية في

---

[1] تأملات، م.س، ص.49.

[2] . مرجع نفسه، ص.50)

[3] . (فكرة كمنويلث إسلامي، م.س، ص.24)

[4] . مرجع نفسه، ص.24ـ25)

[5] . مرجع نفسه، ص.25.

[6] . مرجع نفسه، ص.28.

اشكالها المختلفة الاقتصادية والفكرية تنتج الاضطراب الأخلاقي).[1]

11 ـ التقليد بدل التمثيل:

الذي يحصل بالفعل، هو أن المجتمع الإسلامي منذ منتصف القرن التاسع عشر يعاني من التقليد بدل التمثُّل؛ إذا قارنا مجتمعاتنا الإسلامية بالمجتمع الياباني، رغم فارق الموارد لصالح مجتمعاتنا العربية الإسلامية، فأين هو اليابان؟ وهو ضمن الثمانية الكبار في العالم، وأين هي مجتمعاتنا العربية الإسلامية؟

والفارق واضح، لأن (اليابان قد تمثلت الأفكار بينما المجتمع الإسلامي لا يزال يشتري الأشياء!)[2] .

12 ـ اللا فعالية:

عندما يحقق الإنسان الهدف المطلوب في وقت وجيز وبنتائج جيدة، فهو انسان فعال، وعندما يستغرق وقتا أطول، ويبدد الطاقات والجهود، ودون نتيجة، أو بنتائج محدودة، فهو اللا فعالية، وفي مجتمعاتنا، (فنحن لا نعاني من اللا فعالية، فحسب، ولكننا نخترع شيئا ما؛ ترهة معينة، لاستبقائها! ونحن عندما نتفحَّص عن كثب حياتنا الاجتماعية، نجد فيها ما لا يستهان به من الترهات من هذا القبيل بغية تبرير لا فعاليتنا)[3].

وبعد استعراضنا لأهم **الأسباب الذاتية للمسلم**، التي تسببت في ضمور الفعل الاجتماعي الهادف، ومن ثم تأخر المسلمين في الإقلاع نحو النهضة، وبناء حضارة، حسب مالك بن نبي، وهي كلها تدخل ضمن غياب في تنمية العلاقات الاجتماعية، تأتي **الأسباب المتعلقة بالاستدمار** (حتل الأمس: الذي خرب البلاد ودمر العباد).

ـ **دور محتل الأمس**: يتناول هذا العنصر من الدراسة أهم ما رصده مالك بن نبي، رحمه الله، عن دور المستعمر، وأدواته، في تحطيم البلاد المستعمرة، وتوريثه لها لجزء معتبر من أسباب التخلف، المادية والمعنوية، ومحاربته لكل ما من شأنه أن يساهم في الفعل الاجتماعي الهادف الفعال الذي يساهم في نهضة وتقدم البلاد المستعمرة، حتى ولو بعد رحيله، والجزائر نموذج في ذلك.

1 ـ عرقلة الاستعمار للبناء الاجتماعي وانتقاص الطاقة الاقتصادية والفعالية الفكرية

(الاستعمار ينتقص من طاقتنا الاقتصادية، حتى يخضع موادنا الأولية للكساد، إذ ينافسها يطرحه في السوق بديلا عنها من مصنوعات السانتيك، ... ويعرقل بناءنا الاجتماعي، لكن ينبغي أن نضيف بأن مناورات الاستعمار للانتقاص من أفكارنا، أعني افتقادها فاعليتها في البناء الاجتماعي هي الأكثر

---

[1] . فكرة كمنويلث إسلامي، م.س، ص.32.

[2] . مرجع نفسه، ص.28.

[3] . مرجع نفسه، ص.62.

خداعا).[1]

يعني أن الاستعمار ـ محتل الأمس، وحتى اليوم ـ رغم رحيله ـ ولكن بمناوراته، ووكلائه، فهو يعطل بناءنا الاجتماعي، بالانتقاص من أفكارنا وفقدانها لفعاليتها. وما ينتج عن ذلك في كل المجالات، وكذلك بالانتقاص من طاقتنا الاقتصادية، بكساد موادنا الأولية، وهي كلها مجالات اجتماعية.

2 ـ محاربة الوعي:

(اهتمام المراصد المتخصصة إزاء ظهور أي فكرة تخدم وعي البلاد العربية والإسلامية، تسجل في الحال ويبلغ عنها فورا).[2]

ويقوم خبراؤه بإيجاد طرق ووسائل محاربة تلك الفكرة والقضاء عليها في المهد، ومن ثم القضاء على الوعي الذي يمكن أن تزرعه تلك الفكرة.

(ويستغل جهل الجماهير لينشئ حول الفكرة منطقة فراغ وصمت لعزلها عن المجتمع، وهكذا يفعل حتى يصل إلى أحط مستوى، فيستخدم سلاح المال...).[3]

(إن هدف الاستعمار لا يتعلق بذات شخص معين، ولكن بأفكار معينة يريد تحطيمها أو كفها، حتى لا تؤدي مفعولها في توجيه الطاقات الاجتماعية في البلاد المستعمرة.[4]

وعليه فتلك المراصد والوسائل المختلفة، المسلطة علينا، وهي مازالت قائمة ـ رغم رحيل محتل الأمس ـ بل تطورت وسائله اليوم وأصبحت أكثر فتكا بنا، وهدفها هو تحطيم الأفكار التي يمكن أن تغرس الوعي، والقضاء على الطاقات الاجتماعية والفعالية فينا. وقد نجحت تلك المراصد في تغييب الوعي وما ينجم عنه، حتى عند كثير من النخب المجتمعية.

3 ـ الاستثمار في الأمية السياسية، ونوعية القيادة السياسية:

إن استعمار الأمس، والتعبير الصحيح ـ استدمار الأمس، والاستدمار الجديد ـ يستثمر في جهل المسلمين بكل أنواعه، بما فيه الأمية السياسية، في تغييب الوعي.

(الامية السائدة في البلاد التي تجعل الشعب غير مؤهل للصراع الفكري)[5].

كما تقوم بعض النخب التي صنعها محتل الأمس، وبوأها في مفاصل صنع القرار، مواصلة مشروع

---

[1]. من أجل التغيير: سوريا، دار الفكر، 1995، ص.15 ـ16.

[2]. الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، ط.12، دمشق، دار الفكر،2016، ص.21 ـ 22.

[3]. مرجع نفسه، ص.16.

[4]. الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، م.س، ص.38.

[5]. مرجع نفسه، ص. 49)

محتل الأمس، وتدافع عنه بكل قوة، سواء تعلق الأمر بواقع المدرسة بمراحلها المختلفة، أو الاقتصاد، أو الثقافة، إنها حارسة المشروع التغريبي، وهي تعتبر محتل الأمس صديقا حميما، تبيض صحائفه، وتدافع عنه وعن مصالحه، وتهاجم عناصر الهوية الوطنية بكل عنف وحقد. (السياسة العاطفية القائمة في البلاد، تجعل القيادة السياسية على حذر من الأفكار، فهي تخشاها كما يخشاها الاستعمار نفسه، لأنها عادة لا تتفق مع مركب الأفراد الذي يمثل تلك القيادة).[1]

4 ـ تجهيل الأمس لأبناء البلاد المستعمرة وأثره (الجزائر نموذجا):

(إذ بعد قرن من احتلال فرنسا للجزائر، بلغ عدد الطلبة الجامعيين 300.000 طالبا بفرنسا، بينما بلغ عددهم في الجزائر 300 طالبا على وجه التقريب).[2]

وقد كان هذا التجهيل عن عمد لما يترتب عليه لصالح المحتل، الذي حرم الجزائريين من التعليم. ومن ثم حرمانهم من التنمية الاجتماعية في كل المجالات. وكان من ثمرات سياسة التجهيل تلك ما يلي:(أن الشعب الفرنسي يصل وحده إلى عتبة العهد الذري... ونجد الشعب الجزائري في قافلة المتخلفين، بعيدا عن جبهة التطور العالمي... لم يخرج بعد عن مرحلة الأمية)[3]. ومازالت الجزائر إلى اليوم تعاني من تلك الآثار، ولا سيما في المفاهيم والسلوكات الممارسة.

5 ـ التعقيم للقيم القانونية والأخلاقية:

(ندين للاستعمار أنه قد عقّم المفاهيم القانونية والقيم الأخلاقية التي قامت عليها)[4]. فلقد حارب محتل المس كل القيم الأصيلة في مجتمعنا، وورثنا قيمه الوافدة معه، ومازالت تلك القيم الغريبة عن مجتمعنا وثقافتنا، تسود المجتمع الجزائري، وتعيقه عن التنمية الاجتماعية المطلوبة في إطار هويتنا.

6 ـ البؤس الغذائي:

(فلو اتخذنا سنة 1830 نقطة بداية لتاريخ التطور الاجتماعي بفرنسا والجزائر، لرأينا أن التطور لم يسر في البلدين في الاتجاه نفسه...إذ لما وضع الاستعمار يده على كل الثمرات التي ينتجها التراب الجزائري، التي كانت تتيح العيش الرغد لكافة الشعب الجزائري... كانت النتائج متناقضة في المجتمعين: بين الرفاهية المفرطة والبؤس، وبين الانتاج الزائد عن الحاجات والنقص الفظيع في الغذاء). [5]

---

[1] . مرجع نفسه، ص.49.

[2] . في مهب المعركة، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط 12، دمشق، دار الفكر، 2016، ص.37.

[3] . في مهب المعركة مرجع سابق، ص37.

[4] . مرجع نفسه، ص.42.

[5] . مرجع نفسه، ص.36.

وإن كانت الرفاهية التي يذكرها هنا مالك خاصة بالمجتمع الفرنسي، وفي الجزائر لدى المعمرين وأعوان فرنسا، أما عموم الجزائريين فقد كانوا في فقر مدقع، وقد لحقت بهم مجاعات أودت بحياة الكثير منهم. كما أن كل الآلات التي تحرك الاقتصاد توضع بيد الأوروبي المحتل، بينما يدفع التجار المسلمون الضرائب.

7 ـ برنامج شامل للتحطيم المادي والمعنوي والأخلاقي:

(والواقع أن الاستعمار يذهب إلى أبعد من ذلك في التحطيم...من اختلاسات حقوق، وسلب أملاك، وفرض مخالفات مشتركة، وضرائب من كل نوع، وتنمية البطالة في البلاد إلى درجة لا يتصورها العقل ... فهو يريد تحطيم كل إرادة تدفع الإنسان المستعمر إلى التقدم والحضارة، ببرنامج يتضمن كل ما يتطلبه هذا التحطيم المعنوي من تلويث أخلاقي يحط أولا من قيمة الفرد الشخصية، ومن كفاءته، ومن جهده في المسابقة الاجتماعية)[1].

فعلا هو برنامج للتحطيم الاجتماعي الشامل، في كل المجالات: في مقدمتها تحطيم الإرادة، وسلب الحقوق، وسلب الممتلكات بكل الطرق، وبعدها يصبح الجزائري فريسة للجهل والمرض والآفات الاجتماعية.

8ـ استثمار محتل الأمس في شهوات أفراد البلدان المستعمرة، حتى ينحرفوا عن الهدف الذي ذهبوا من أجله. لاسيما في مجال (تلويث أخلاقه...وتصبح المخدرات والكحول مؤسسة من مؤسسات الحكم، لا يقف أحد إزاءها موقفا عدائيا، إلا ويعرض نفسه للخطر، كما يعلّم عليه في ملفات البوليس بأنه شخص خطير)[2]

. ومازال الاستدمار الجديد، بوسائله الجديدة، يستثمر في شهوات أبنائنا، وقد حقق مالم يحققه بالأمس، في مجال الانحراف والجريمة والفساد.

ورغم الآثار المدمرة لمحتل الأمس، والتي مازلنا نعاني منها في مختلف المجالات، إلا أننا نحن أيضا ساهمنا في تخلفنا بقسط وافر، ومن تلك المساهمات بتبنينا لحلول خاطئة للخروج من مشاكلنا، فزادتنا تخلفا على تخلف.

ـ الحلول الخاطئة:

إن للحلول الخاطئة، التي سلكتها البلدان الإسلامية، بعد طرد المحتل، نصيب معتبر من الواقع الاجتماعي الذي تعيشه بلداننا في مجال التنمية الاجتماعية.

---

[1] . في مهب المعركة، مرجع سابق، ص.45.

[2] . في مهب المعركة، مرجع سابق، ص.45.

إذ لم يتغير حالها كثيرا، في هذه الفترة، التي رفعت فيها الراية الوطنية على المباني الرسمية، وفي بعض البلدان زاد الأمر سوءا، عما تركه محتل الأمس. وحسب مالك بن نبي، فإن للحلول الخاطئة المعتمدة. أثر واضح في واقعها نحو النهضة، والتقدم، والتنمية الاجتماعية، وهذه نماذج من تلك الحلول الخاطئة:

1ـ العالم الإسلامي دخل صيدلية الغرب وهو لا يعرف عما يبحث عنه:

من المعروف طبيا، أن التشخيص الدقيق، ومعرفة حقيقة المرض، نصف العلاج، وما ينطبق على الأفراد في الأمراض العضوية ينطبق على المجتمعات والأمم، في الأمراض والمشكلات الاجتماعية، لكن المشكلة في عالمنا الإسلامي، أنه لا يعرف مرضه بدقة، ولا يعرف الأدوات الصحيحة للعلاج، ولا كيفية استعمالها، ولا مراحل العلاج، إنه ارتمى في أحضان الغرب، ودخل صيدليته يطلب الشفاء، وهو لا يعرف العقار الذي يبحث عنه، فاقتنى كل شيء وقعت عليه يداه، وتناوله بغير حساب، فزادت أسقامه، وكثرت علله، فتاه ولم يصل إلى هدفه إلى اليوم، وفي هذا يقول مالك بن نبي: (العالم الإسلامي دخل صيدلية الحضارة الغربية، يطلب الشفاء، لكن من أي مرض؟ وبأي دواء؟ إنه لا يعرف شيئا محددا عن مرضه)[1].

2. حلول مستوردة لا تتناسب مع إمكانياته وأفكاره:

العالم الإسلامي، بعد طرد محتل الأمس، وجد تركة ثقيلة في مجال الجهل، والمرض، والفقر، والصناعة، والزراعة، وغيرها من المجالات الاجتماعية التي تحتاج للتنمية، فاعتقد أن الحلول الاقتصادية البحتة، هي الحل لمشكلاته الموروثة عن محتل الأمس، فمنهم من استورد حلولا اقتصادية من الاتحاد السوفياتي الشيوعي آنذاك، ومنهم من استورد الحلول من الدول الرأسمالية، والعامل المشترك في التوجهين، هو **إهمال بناء الإنسان، وفق عناصر هويته**، فكانت النتيجة ما تعيشه اليوم تلك البلدان، إذ لم تحقق النمو الاقتصادي المنشود، مع تدمير شبه كلي لرأس المال الحقيقي، آلا وهو الإنسان، الذي لم يكن له نصيب من الاهتمام والبناء الصحيح، على أسس هويته في تلك الحلول المستوردة. ومالك بن نبي، يعتبر استيراد تلك الحلول التي لا تنسجم مع هوية أمتنا، تضييع للجهود، وعملية انتحارية.

(فإنه لا يجوز لأحد، أن يضع الحلول والمناهج، مغفلا مكان أمته ومركزها، بل يجب عليه أن تنسجم أفكاره، وعواطفه، وأقواله، وخطواته مع ما تقتضيه المرحلة التي فيها أمته، أما أن يستورد حلولا من الشرق أو الغرب، فإن ذلك تضييعا للجهد، ومضاعفة للداء، إذ كل تقليد في هذا الميدان جهل وانتحار.)[2].

3 ـ أغفل العقيدة الدينية في عملية بناء الإنسان: وذلك ناجم عن تبني الفكر العلماني الغربي بحدة، كما فعلت الحركة الحديثة، وعلى رأسها كمال أتاتورك. وإن المساهمة في البناء الاجتماعي على

---

[1] . شروط النهضة، مرجع سابق، ص.41.

[2] . شروط النهضة، مرجع سابق، ص. 47 ـ 48.

أسس صحيحة كما مر معنا في العناصر السابقة ـ يقوم على الإنسان الذي يحمل فكرة عقدية صحيحة، لكن النخب السياسية في العالم الإسلامي، وهي بالمواصفات المذكورة سابقا، لم تعط بناء الإنسان، ولا سيما الجانب العقدي منه، أي اهتمام، بل العكس تماما، حاولت تفريغه من أي جانب عقدي سليم، واعتبرته مؤشر تخلف، لا يتماشى وروح العصر، ومن ثم ساهمت في التخلف ومحاربة التنمية الاجتماعية، بإهمالها، بل بمحاربتها للجانب العقدي، في بناء الإنسان. (إن هناك ما يطلق عليه ـ مركب الحضارة ـ أي العامل الذي يؤثر في مزج العناصر الثلاثة ـ الإنسان + التراب + الزمن ـ بعضها ببعض ...إن هذا المركب موجود فعلا، هو الفكرة الدينية التي رافقت دائما تركيب الحضارة خلال التاريخ)[1].

(فالحضارة لا تنبعث ـ كما هو ملاحظ ـ إلا بالعقيدة الدينية)[2].

4. التكديس بدل البناء: إن مجتمعات العالم الإسلامي، منذ أكثر من نصف قرن، وهي تجمع وتكدس منتجات الحضارة الغربية، معتقدة أنها بذلك ستحل مشاكل التخلف، في مجالات الفقر، والمرض، والجهل، وغيرها. وهي كلها جوانب اجتماعية، و مع ذلك لم تلتحق بالتقدم والتنمية الاجتماعية المنشودة، ولو في جانبها المادي، كما حدث عند اليابان وروسيا والصين، ولا بالتحضر في الجوانب التي تتعلق بالإنسان والقيم، لأن المجتمعات الإسلامية سلكت طريقا خاطئة، وهي علاقة الزبون مع التاجر: كلما احتاج لشيء، اشتراه جاهزا وكدسه، ولا يعرف عنه أي شيء، بدلا من علاقة الطالب المجتهد مع أستاذه، إذ يسأل أستاذه عن كل صغيرة وكبيرة، ليفهم كل شيء عما هو في حاجة إليه، ثم يقوم ببنائه، على طريقة الكيميائي الذي يحلل أولا المنتجات ثم يعيد تركيبها.(إن العالم الإسلامي يعمل منذ نصف قرن، على جمع أكوام من منتجات الحضارة، أكثر من أن يهدف إلى بناء حضارة)[3].

(فقد أردنا بدل الاضطلاع بتشييد حضارة، أن نقوم بتكديس منجاتها.... مظهر مشتطّ بالهزل عندما نلاحظ أربعة أجهزة للتكييف الهوائي في مقصورة أحد رؤساء المصالح، أو خمسة أجهزة هاتفية على مكتبه)[4].

5 ـ غياب التنسيق والانسجام في دواليب الدولة:

من العوائق الخطيرة التي تعاني منها حكومات مجتمعاتنا الإسلامية، ظاهرة عدم التنسيق بين عناصر الحكومة، وأيضا الإدارات المحلية فيما بينها، مما أدى لبذل الجهد وإنفاق المال دون جدوى، وما يترتب عنها من مراوحة التنمية الاجتماعية في مكانها، بل تقهقرها، وقد شبه ابن نبي ذلك بعناصر محرك

---

[1]. مرجع نفسه، ص.46.

[2]. مرجع نفسه، ص.50)

[3]. شروط النهضة، م. س، ص.44.

[4]. القضايا الكبرى، م.س، ص. 50 ـ51.

متشاكسة (فإننا من الناحية الفنية نتصور الدولة في حالة كهذه ـ أي عدم التنسيق ـ محركا تدفع بعض أجهزته إلى الأمام، بينما تدفع الأخرى إلى الخلف)[1]

ويترتب عن ذلك التشاكس إنهاك، ولكن دون نتيجة كما يترتب عن عناصر المحرك غير المتناسقة إ تلاف للمحرك، وإنفاق للطاقة، ولكن بدون جدوى (فمن الناحية الميكانيكية ندرك بسهولة تلف الطاقة... وأن المحرك نفسه يتعرض للتلف... والحالة التي أشرنا إليها أخطر الحالات الاجتماعية المرضية)[2] يقصد غياب التنسيق في دواليب الدولة.

6 ـ بيع المواد الخام بسعر زهيد، واستيرادها مصنعة بأضعاف مضاعفة:

إن مجتمعاتنا الإسلامية لا تتحكم في مواردها، لأسباب كثيرة، فهي تبيع المواد الخام بسعر زهيد، وتستوردها مصنعة بأضعاف مضاعفة، لأن الآخر هو من يتحكم في التسعير (عدم توازن ... العلاقات الاقتصادية بين الشمال والجنوب، عن اندمال التخلف، بل عن زيادته نسبيا)[3]. ويقترح حلا لهذا الإشكال في إنشاء مصرف المادة الخام للدول النامية حتى تتحكم في أسعار موادها الخام، بقوله (هذا الوضع يلزمنا بإنشاء ـ مصرف المادة الخام ـ لإصلاح حال المادة الخام التي تمثل العرض، في العمليتين الأساسيتين: إنتاجها وتسويقها. فالبلاد النامية زهدت، بعد استقلالها في استخلاص النتائج التي يقتضيها وضعها الجديد).[4]

وبعد استعراضنا لأهم عوائق التنمية الاجتماعية في فكر مالك بن نبي، التي يتسبب فيها الإنسان بطريقة أو بأخرى، ولا يمكن تحقيق التنمية الاجتماعية، إلا بتجاوز تلك العوائق، التي نبه ابن نبي عليها لتجاوزها. فالتنبيه للعائق نصف العلاج.

أليست كل صورة سلبية تعرض، فهي ضمنيا دعوة لتجاوزها واستبدالها بما يجب من الصور الجميلة المقابلة لها؟

ألم يحول النبي "ص" خامات الجاهلية إلى معادن الإسلام؟ من خلال إخلائهم من أمراض الجاهلية وإملائهم بفضائل الإسلام؟ فأخرج منهم خير أمة بشهادة الله تبارك وتعالى.

ومن ثم التنبيه على سلبيات شيء ما، يقتضي التخلص منه. واستبداله بما يقابله من الإيجابيات. وابن نبي لم يكتف بالتنبيه للسلبيات والعوائق التي تكبل مجتمعاتنا الإسلامية، بل أردفها بالإيجابيات التي يجب أن يرتكز عليها للتنمية الاجتماعية.

---

[1]. بين الرشاد والتيه، م.س، ص.44.

[2]. مرجع نفسه، ص.45.

[3]. مرجع نفسه، ص.151.

[4]. بين الرشاد والتيه، م.س، ص.151.

III/ المرتكزات:

وتقوم التنمية الاجتماعية عند ابن نبي على التغيير الشامل، من خلال بناء الإنسان، في مختلف المجالات، وهذا ما سيتم استعراضه في العناصر الموالية.

1 ـ بناء الإنسان على مرتكز الدين:

(إذا أراد المجتمع المسلم أن يبقى على وجه الخريطة، عليه أن ينقذ نفسه بدينه، لأن الدين هو الوسيلة الوحيدة لديه ليسير إلى مأمنه)[1].

يعتبر ابن نبي الدين بمفهومه الصحيح الشامل، أعظم الركائز التي يمكن أن تنقذ الأمة مما تعاني منه في مختلف المجالات، وتعيدها لدورة الحضارة من جديد، فكما أن خمود الفكرة الدينية والجهل بالإسلام، كان لهما الأثر الأكبر في الانحطاط الكلي، وما ترتب عنه في مختلف الميادين بما فيها العلاقات الاجتماعية، فكذلك فإن فهم الدين الإسلامي في شموليته بطريقة صحيحة وتطبيقه في مختلف المجالات، سيكون له الأثر الكبير في كل المجالات فهو رديف للعلم، والمعتقد الصحيح، وتفجير الطاقات، والرقيب على السلوك...

فالدين هو (المرفأ بالنسبة لكل سفينة مهددة بالغرق، أعني لكل مجتمع إنساني هو أمران: 1 . دينه، 2 . حضارته. دينه أعني عقيدته، أي الطاقة التي تجعل المجتمع يتمكن من مواصلة السير من المكان الذي طوقته فيه الأخطاء بلوغا إلى مأمنه. هذه الطاقة طاقة النجاة، ثم عندما نصل إلى المرفأ، والمرفأ هو حضارة المجتمع التي تخوله القيام بوظيفته التاريخية بوصفه مجتمعا متحضرا، يقدم الضمانات الاجتماعية لكل فرد يعيش فيه)[2].

ثم أن المعركة بين مجتمعاتنا الإسلامية وغيرها تدور على اساس ديني، ومن ثم لا يمكن إغفال الدين في هذه المعارك (المعركة التي تدور بين المجتمعات...إنها لا تجري على صعيد الاقتصاد، ولا على الصعيد السياسي، بل هي تجري على الصعيد الروحي(الإيديولوجي)... والمجتمع الإسلامي الذي نراه اليوم في خضم المعركة بين المجتمعات الأخرى في إطار المعركة الإيديولوجية كسفينة تكتسحها الأمواج من كل جانب، سواء ما يسمى الموجة الصهيونية، أو الموجة التي تسمى الإلحاد، أو التي تسمى الشيوعية، أو الموجة التي تسمى الاقتصادية، ويعبر بهذا التعبير عن قصد).[3] وعليه لا يمكن أبدا تجاوز هذه المعارك، والوصول للمرفأ الحضاري دون القيام على أسس صحيحة من الدين.

---

[1] . مجالس دمشق، م.س، ص.61.

[2] . مجالس دمشق، م.س، ص.61.

[3] . مجالس دمشق، م.س، ص.58ـ59.

2 ـ التغيير الشامل القائم على التخطيط: إن عملية التغيير الشامل القائم على التخطيط، في كل المجالات، بما فيها مجال التنمية الاجتماعية، شرط اساس يتفق عليه علماء الاجتماع، وابن نبي لا يشذ عن ذلك، وهو يرسم معالمها غداة الاستقلال، ويراها تتمثل في إعادة تنظيم الإدارة، وأجهزة العدالة، وتغيير العملة، وتعديل النظام الاقتصادي، **وأهم عنصر في عملية التغيير هو تغيير الإنسان، أي بناؤه بما يتوافق ورؤى التغيير الشامل** (التغييرات الثورية تصبح حلما من الأحلام، إذا لم تقم على هذه الشروط... إعادة تنظيم الإدارة، وأجهزة العدالة، وتغيير العملة، وتعديل النظام الاقتصادي...**إلا أن التغييرات هذه جميعها تصبح مجرد سحر للأبصار ولا يستقر أمرها، إذا لم يتغير الإنسان نفسه**).[1]

وبناء الإنسان ركن أساس عند ابن نبي، وفي كل المجالات فهو عنصر أساس في أي معادلة للتغير الاجتماعي، والخروج من التخلف، والنهضة، والتقدم، والتنمية الاجتماعية

3 ـ المزج بين الشروط الأخلاقية والمادية وتفعيل المؤسسات في بناء إنسان الحضارة: لما كانت الحضارة هي ظاهرة اجتماعية بامتياز، تسعى لتجاوز مشاكل التخلف، والنهوض، وتحقيق التنمية الاجتماعية، باستغلال كل مؤسسات المجتمع لتقوم بأدوارها المنوطة بها، في ظل القيم الأخلاقية والوسائل المادية لتقديم المساعدة للإنسان، حتى يصبح مؤهلا في أدائه الوظيفي الحضاري، ترافقها التنمية الاجتماعية الشاملة حتما.

(الحضارة يجب أن تحدد من وجهة نظر وظيفية: فهي مجموعة الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين، أن يقدم في كل طور من أطوار وجوده، منذ الطفولة إلى الشيخوخة المساعدة الضرورية له في هذا الطور أو ذاك من أطوار نموه، فالمدرسة، والمعمل، والمستشفى، ونظام شبكة المواصلات، والأمن في جميع صوره، عبر سائر تراب القطر، واحترام شخصية الفرد، تمثل جميعا أشكالا مختلفة للمساعدة التي يريدها، ويقدر المجتمع المتحضر على تقديمها للفرد الذي ينتمي إليه)[2].

ومتى تمت هذه المساعدة للإنسان، بتفعيل المؤسسات، تم بناء الإنسان الرسالي المتوازن، وتجاوز إنسان المنتصف في كل شيء، وما يترتب عليه من تغيير إيجابي شامل. في مقدمتها بناء الإنسان.

4 ـ استعادة المفهوم الصحيح للإسلام الذي يتكامل مع الإنسان والزمن والتراب:

إن ما نحتاج إليه كمرتكز اساس في عملية التنمية الاجتماعية الشاملة، مرتكز الإسلام في جميع أبعاده كمصدر للعقيدة، والأخلاق، ومعيار للسلوك، يحمله الإنسان ليتكامل به مع الزمن والتراب. (كان كتاب ـ شروط النهضة ـ يمثل أول جهد لعقل مسلم يستعيد (للإسلام) معناه التاريخي، لأن الإسلام يتكامل

---

[1] . بين الرشاد والتيه، م.س، ص. 15)

[2] . القضايا الكبرى، م.س، ص.43)

ضمنه مع تركيب متآلف وأساسي للإنسان والتراب والزمن)[1].

5 ـ الاستغلال الأمثل للوقت:

(ليس من الضروري ولا من الممكن، أن يكون لمجتمع فقير، المليارات من الذهب كي ينهض، وإنما ينهض بالرصيد الذي لا يستطيع الدهر أن ينقص من قيمته شيئا، الرصيد الذي وضعته العناية الإلهية بين يديه: الإنسان، والتراب، والوقت)[2].

ومتى أحسن الإنسان استغلال الوقت، أنجز خطوات عملاقة في مجال التنمية الشاملة بما فيها التنمية الاجتماعية.

6 ـ البعد الأخلاقي لأي تغيير في كل المجالات:

رغم أهمية العلم عند ابن نبي، ولكن يجب أن يكون مرفوقا بالأخلاق في كل المجالات، ولا سيما في المجال الاقتصادي. (فالعلم إذا تجرد من الأخلاق، فإنه يجر حتما إلى وضع اقتصادي مناقض للأخلاق، سواء ذلك في الإطار الوطني أو الإطار الدولي)[3].

والأخلاق يحتاج إليها الإنسان في كل المجالات، ليس فقط في مجال التنمية الاجتماعية والاقتصادية، بل في السياسة وفي كل المجالات (فبقدر ما تبقى السياسة مرتبطة بمبادئ أخلاقية معينة، يبقى الاقتصاد وفيا للمبادئ ذاتها)[4].

7 ـ التكامل بين الأصالة وما توصلت إليها البشرية في المجال الحضاري:

يرى ابن رحمه الله أن التنمية الاجتماعية، هي فعل حضاري يقوم على الأصالة بالدرجة الأولى، مع الاستفادة مما عند الآخر.

(الحضارة ليست شيئا يأتي به سائح في حقيبة لبلد متخلف، بل إن ابن المستعمرات هو الذي يذهب إلى الحضارة، إلى مصادرها البعيدة، وقبل كل شيء إلى مصادرها الأقرب من أصالته).[5]

8ـ الجهد المبذول بمضمون أخلاقي جمالي علمي:

لا يمكن أن تتحقق التنمية الاجتماعية أو أي فعل حضاري بالكسل، وبالنية فقط، بل لا بد من جهد مع مضمون أخلاقي جمالي علمي يظهر في سلوك الجميع.

---

[1]. القضايا الكبرى، م.س، ص.23.

[2]. بين التيه والرشاد، م.س، ص.69.

[3]. مرجع نفسه، ص.75).

[4]. بين التيه والرشاد مرجع سابق، ص.75)

[5]. في مهب المعركة، مرجع سابق، ص.126.

(ليست الحضارة في النية...بل هي نتيجة الجهد الذي يبذله كل يوم الشعب الذي يريد التحضر، وفي إرادة هذا الشعب إزاء الحضارة، أي عندما يضع في كل تفصيل من حياته مضمونه الأخلاقي والجمالي والعلمي، حتى يكون هذا التفصيل كأنه خطوة نحو التقدم).[1]

والعكس تماما، فإن الخمول أو غياب المضمون الأخلاقي، كلاهما مدمر.

(... الشخص الطيب المتسامح، الذي وجد نفسه منقادا في حركة لا يستطيع السير فيها، يزرع فيها الخلل بخموله، ويعيق فيها منهاج النشاط العام)[2].

9ـ التحرر من القابلية للاستعمار:

التحرر من القابلية للاستعمار من المواضيع الرئيسية التي أسالت الكثير من الحبر في فكر مالك بن نبي، لخطورة الاستدمار في كل المجالات.

(من واجب المسلمين أن ينتبهوا إلى أن الاستعمار هو مجرد بذرة صغيرة حقيرة، ما كان لها أن تنبت وتؤتي اكلها، لو لم تهيأ لها التربة الخصبة في عقولنا ونفوسنا)[3]. وهذه التربة الخصبة في عقولنا ونفوسنا هي القابلية للاستعمار، (فقد ولدت اجيال جزائرية عديدة وسط الضباب الذي يغشّي المجتمعات... وداخل الضباب يكون من العسير على الإنسان أن يشق له طريقا معينا... الأمر الذيَ يفضي إلى تقوض شبكة الصلات الاجتماعية... والجزائري الذي ولد ضمن هذه الشروط... كائن معزول عن جماعة وضعت على هامش التاريخ من جراء القابلية للاستعمار).[4]

وما لم نتحرر من القابلية للاستعمار فلن نتقدم في أي مجال من المجالات. بما فيها التنمية الاجتماعية،

(فثورة ما لا تستطيع بناء وضع جديد والحفاظ على مكتسباتها، إلا إذا كان أثره في تصفية الاستعمار فعالا، في تصفية الإنسان من القابلية للاستعمار).[5]

ثالثا/ مجالات التنمية الاجتماعية عند مالك بن نبي:

إن التنمية الاجتماعية عند مالك تشمل كل المجالات، ولو اكتفينا باستعراض أربعة عناوين من كتبه فقط، لكان ذلك دليلا كافيا على تلك الشمولية، التي كان ينظر بها ابن نبي للمجال الاجتماعي، في

---

[1]. مرجع نفسه، ص.126)

[2]. من أجل التغيير، م.س، ص.112.

[3]. مجالس دمشق، م.س، ص.54.

[4]. القضايا الكبرى، م.س، ص.31.

[5]. بين الرشاد والتيه، م.س، ص.51.

علاج أمراض الأمة واستنهاضها من كبوتها لتدخل مرة اخرى في دورة حضارية جديدة، وتلك العناوين هي: (الظاهرة القرآنية)، و(مشكلة الثقافة)، و(شروط النهضة)، و(المسلم في علم الاقتصاد).

ومعلوم أن الظاهرة هي تفاعل اجتماعي، والقرآن أنزله الله ليقرأ ويتدبر ويفهم، ليتفاعل به الناس مع بعضهم البعض، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وأما الثقافة فهي من الاتساع، بحيث تمس كل الميادين التي يكتسبها الإنسان في كل مساحاته الفردية والاجتماعية، التي تظهر في تفاعلاته الاجتماعية في كل المجالات: العلمية والتربوية والدينية والأخلاقية والسلوكية والاقتصادية وغيرها.

في حين (شروط النهضة) لن تكون بدون علم ووعي بما يحيط بالإنسان من أفكار على أنواعها، والصراع الفكري، ومكائد الاستعمار ـ الاستدمار ـ والتمكن من عالم الأشياء وتجاوز اللافعالية إلى الفعالية المطلوبة واستغلال الوقت والتراب، على الوجه الأكمل...الخ.

(المسلم في عالم الاقتصاد) وما يفيد من آليات الاقتصاد من علم ومهارة وسلوك اقتصادي، ثم الاقتصاد هو شريان الحياة في علاقات الناس، وتشمل كل ضرورياتهم وحاجياتهم وتحسيناتهم وهي كلها علاقات اجتماعية.

ولم يكتف ابن نبي بتلك الإشارات الاجتماعية التي تعبر عنها عناوين كتبه المختلفة، دون النظر إلى محتواها، فقد نبه لكل السلوكات الاجتماعية السلبية التي تطبع الأمة الإسلامية كظواهر اجتماعية، على أمة الإسلام أن تتخلى عنها من أجل النهوض والتحضر ، بتجاوز الوهن والخمود الديني، والجهل بالإسلام، والأمراض الموروثة، وروح الهزيمة والسلبية في التفاعل مع عناصر الحضارة، بعدم تحمل المسؤولية، وغياب رؤية اقتصادية سليمة تتماشى مع واقعنا وأصالتنا وإمكانياتنا، والقيام بالواجبات بدلا من التركيز على المطالبة بالحقوق فقط، واكتساب معيار اجتماعي صحيح، يوجه سلوكنا الجمعي لتجاوز التقليد والفوضى الشاملة، و الانتقال من التكديس، إلى التمثيل والبناء الحضاري، ولن يتحقق للأمة ذلك إلا بالوعي اللازم لمعرفة مكائد الاستعمار والصراع الفكري، واكتساب القيم والأخلاق، للخروج من الأمية السياسية للأمة، وتجاوز الانغماس في الشهوات التي استثمر فيها محتل الأمس لتدمير الأمة وإبقائها متخلفة لاهثة وراء الشهوات والغرائز. والبحث عن الحلول الصحيحة لمشاكلنا، التي أساسها إنسان النصف في كل شيء، ومن ثم ضرورة تفعيل العقيدة الدينية وقيم الأصالة مع الاستفادة من ايجابيات الآخرين، لبناء إنسان الثقافة والنهوض والتحضر، وهي كلها مجالات اجتماعية، من أجل التغيير الشامل في كل المجالات. فالتنمية الاجتماعية كل لا يتجزأ (فالعهد الجديد حين يتأسس تحت إشراف دولة، ينبغي ألا يكون مجرد إعلان للسيادة الوطنية مسجلا في السطور الأولى للدستور، بل ينبغي أن يكون أداة ضرورية لتنمية هذه السيادة في كل أبعادها السياسية والاقتصادية والثقافية)[1].

[1] . بين الرشاد والتيه، م.س، ص.40.

والتحذير من تجزئة مجالات الكفاح وهو بذل أقصى الجهد في مختلف المجالات، وما ينجم عنه من تنمية شاملة، وعدم تجزئتها ف(المعركة تصاب بالتدهور والانحطاط الإيديولوجي حالما تحتل فيها وحدات كفاح جزئية مكان وحدة الكفاح الشاملة، وحالما يحدث هذا الانحطاط أو الهبوط في المستوى الروحي ... يؤدي حتما إلى التدهور السياسي)[1].

المحور الرابع/ النتائج المتوصل إليها:

توصلت الدراسة للنتائج التالية:

1. الظاهرة الاجتماعية هي أساس وروح المجتمع، لكونها تمس كل التفاعلات الاجتماعية.

2 . التنمية الاجتماعية هي عملية شاملة، متكاملة، مدروسة، هدفها الرقي لكل جوانب الحياة في المجتمع، وأساسها والمستفيد منها هو الإنسان.

3 . شبكة العلاقات الاجتماعية هي الثمرة العملية التطبيقية للظاهرة الاجتماعية سلبا أو إيجابا، وهي التي تتحكم في صيرورة المجتمع، كونها تربط بين عوالم الأشخاص والأفكار والأشياء.

4 . كل ما يثبط ويمنع التنمية الاجتماعية فهو عائق، وكل ما يدفع بها للعدل والرضى والتوازن ومن ثم القوة والاستمرارية والديمومة فهو مرتكز.

5 . حسب ابن نبي . رحمه الله . مجتمعاتنا الإسلامية اليوم، مكبلة بكم هائل من العوائق، تمنعها من الوعي والفهم لما يحيط بها من أخطار، ومن التصرف الصحيح، والنهوض والنمو الشامل والتقدم والتحضر، وأساس تلك العوائق هو الإنسان في صورة من الصور، (بسبب أمراضه الموروثة، وجهله، وعدم ضبط غرائزه، ولاختياره لحلول مستوردة خاطئة، ولقلة وعيه فهو ضحية للصراع بكل أشكاله، وتخطيط الآخر مستعمرا قديما أو غزوه الثقافي الجديد.

6 . أيضا حسب ابن نبي لتحقيق النهضة والتقدم والتحضر وهي كلها تدخل ضمن التنمية الاجتماعية، لابد من بناء الإنسان على منظومة من المرتكزات أساسها الفكرة الدينية الصحيحة، وما تقدمه من معايير صحيحة في مجالات العلم، والوعي، والأخلاق، وضبط الغرائز، والتوجيه السليم للسلوك، وتحديد سلم الأولويات، والاستغلال الأمثل للوقت والموارد، والتحرر من القابلية للاستعمار، والشمولية في مجالات التنمية.

قائمة المراجع والمصادر

1 . ابن نبي مالك: ميلاد مجتمع، ج1 . شبكة العلاقات الاجتماعية. ط.10، ترجمة عبد الصبور شاهين، دمشق، دار الفكر، 2015.

[1] . الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، م.س، ص.42.

2 ـ // // // القضايا الكبرى، ط.12، دمشق، دار الفكر، 2015.

3 ـ // // // فكرة كمنويلث إسلامي، ترجمة الطيب الشريف، ط.12، دمشق، دار الفكر، 2016.

4 ـ // // // شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، وعمر كامل مسقاوي، دمشق، دار الفكر، دون تاريخ.

5 ـ // // // وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين، الجزائر، منشورات A N P، 1981.

6 ـ // // // تأملات، بيروت، دار الفكر، 1979.

7 ـ // // // من أجل التغيير: سوريا، دار الفكر، 1995.

8 ـ // // // الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، ط.12، دمشق، دار الفكر،2016.

9 ـ // // // في مهب المعركة، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط 12، دمشق، دار الفكر، 2016.

10 ـ // // // مجالس دمشق، ط.5، دمشق، دار الفكر،2015.

11 ـ // // // بين الرشاد والتيه، ط12، دمشق، دار الفكر، 2016.

12 ـ // // // دوركايم إميل: قواعد المنهج في علم الاجتماع، بيروت، موفم للنشر، 2009.

13 ـ حامد عمار: دراسات في التربية والثقافة، مصر، مكتبة الدار العربية للكتاب، 1988.

14 ـ الحكيم منذر: النظرية الاجتماعية الإسلامية، بيروت، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، 2008.